النشاط الثقافي في العالم

فرنسا

رسالة باريس من وحيد النقاش

« واجب العنف » ... كاتب وجائزة

* * *

من أهم ما صدر عن مطابع باريس في الشهرين الاخيرين ، في ميدان الخلق الادبي ، رواية لكاتب افريقي شاب من مالي يقيم في فرنسا منذ ستة أعوام ، وهي أول انتاج أدبي له . الرواية عنوانها « واجب العنف » والكاتب اسمه : بامبو أولوجويم . وبعد الاحتفاء الشديد الذي قوبلت به من جانب النقاد ، قدر لها أن تحصل على جائزة « رينودو » لاحسن عمل روائي هذا العام ، وهي واحدة من الجوائز الهامة التي تتوج بعض أعمال الكتاب المخضرمين أحيانا ، فاذا حصل عليها كاتب شاب بعمله الاول كان ذلك في نظر جمهرة القراء نوعا من التقدير الذي يقفز به الى صفوف الناضجين مرة واحدة .

ولم يكن اهتمام النقاد « بواجب العنف » وبمؤلفها منتميا الى ذلك الاهتمام الشائع الذي يوليه الفكر الغربي ، بسطحية أحيانا ، الى كل ما يأتي من بعيد ، من قارة غريبة تثير الاحلام ، ولكنه كان اهتماما منصبا على تميز هذا الكاتب القادم من مالي عن بقية كتاب افريقيا ذوي التعبير الفرنسي أو الاجنبي عامة ، وعلى تفرد عمله وأصالته بالقياس الى كل الانتاج الادبي الروائي الاخر الذي تصدره القارة السوداء الى العالم الاوروبي ، والذي غالبا ما يخطىء طريق العودة اليها .

ذلك ان بامبو أولوجويم ، كما قال أحد الكتاب الصحفيين في صورة سريعة رسمها له ، يريد أن يكون زنجيا كامل الزنجية . وليس من شأن هذا التشبث من جانبه لا ارضاء البيض الذين يستمرون في أغلب الاحيان على ايثارهم للزنجي الخاضع ، ولا ارضاء اخوته في الجنس الذين لا زالت القلة النادرة منهم هي التي تريد أن تتحمل تبعات زنجيتها . فكل ذلك لا يهم هذا الفتى المالي الذي يعرف منذ عدة سنوات ماذا يريد ، والذي يبغض كل أشكال الخطابة ويتمرد على كل مساومة ، ويمضي في الطرق التي تبدو في نظره أشد الطرق مباشرة الى بلوغ الهدف . وها هنا نستطيع أن نستعير الخطوط العريضة التي رسمها الصحفي الفرنسي (فيليب ديكراين ـ الموند الادبي ١٢ ـ ١٠ ـ ١٩٦٨) لنعطي فكرة للقارىء العربي عن الكاتب الافريقي الجديد .

وأولوجويم يرجع أصله الى منطقة مرتفعات بانديادجارا حيث خلعت بعض أحلام علماء الاثنولوجيا الفرنسيين جمالا وسحرا على الاساطير المتنوعة التي لا تحصى هناك حول نشأة الخليقة ، وذلك من بعد الاعمال العلمية التي قام بها البروفسور مارسيل جريول . وبامبو أولوجويم بسبب أصله ذاك يمتلك الكبرياء والشجاعة في أعلى درجاتهما : فهو معتد بنفسه الى درجة تستفز البعض ، وشجاع الى حد اللاوعي ، وجسور متهور حتى انه يعيش في حالة من التحدي الدائم . وأحاديثه التي يسوقها برقة وعذوبة انما تفصح عما يكمن خلفها من فكر صادم متماسك .

ستة أعوام من الحياة في فرنسا ، وشهور طويلة من ممارسة التعليم في ليسيه شارلتون وفي المدرسة العالية الصغيرة بكونفلان ، واعداد لدبلوم الدراسات العليا في الانكليزية ، الذي اجتازه بنجاح ، ثم شهادة الاجريجاسيون في الآداب ، كل ذلك لم يغير شيئا من الرؤية الافريقية الحقيقية للاشياء التي ظلت تلازمه . والحق ان بامبو أولوجويم يعتبر ان عملية « التخلص من الاستعمار لم تتحقق بعد » وهذا هو السبب الرئيسي الذي يدفعه الى أن يرفض أن يوضع بالقياس الى كتاب ماليين آخرين . ومع ذلك فان في روايته « واجب العنف » روحا تذكر القارىء المتتبع للادب الافريقي ببعض أعمال مواطنه سيدو باديان كوياتي ، وهو وزير ورجل أدب معا ، وأحد المنظرين للاتحاد السوداني (١) ، الحزب الاوحد في مالي . ولكن ذلك ليس رأي أولوجويم ، فهو يرفض كل المؤلفين الافريقيين في مجموعهم تقريبا، دون أن يستثني أيا منهم بالاسم على حدة ، ويؤكد بخصوصهم قائلا : « لقد عالجوا فولكلورا زهيد القيمة بغرض أن يطمئنوا محبي الزنوج والعاطفين عليهم بلا شرط ولا جزاء » .

واذا كان الاطار الذي تدور فيه أحداث روايته الاولى يبدو لنا موجودا في مالي ، فان ذلك ليس الا وهما . وهو يفسر ذلك بقوله : « لقد حرصت على أن يكون لدي ديكور واسع ممتد ، مزروع في قلب افريقيا الامبراطوريات العظمى مثلما يمكن أن يكون في الكونغو أو في السودان الانكليزي المصري سابقا ... ولقد تتبعت خلال قصتي خط المسير الذي أعطاه عالم الاثنولوجيا ديلافوس للزنوج المنحدرين من ملكة سبا . وهذه الرحلة أفضت بي الى عالم ذي أبعاد ثلاثة تتكون من : الكتاب المقدس والقرآن والوثنية » . ويرسم المؤلف صورة تاريخية عريضة ، ملمحا بغير وضوح الى مملكة « اف » التي خلبت تماثيلها البرونزية لب القصور الملكية الاوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ومشيرا كذلك الى قبائل الزولو الافريقية والاسترالية أو الى المالنكيين في غينيا الحالية ومالي الحالية ايضا . وهو يؤكد على ما يطلق عليه بنفسه : « مطامحه الملحمية » وخطته الكبيرة في أن « يتوصل في النهاية الى فضيحة السياسة المعاصرة » . فهل يعني ذلك ان بامكاننا العثور هنا على مفتاح شخصيته الرئيسية ؟ كلا . وهو يفسر ذلك بقوله : « ليس هنا من شخصية رئيسية ، ولكن هناك نظام افريقي كامل يتكون من التجاذب بين ستين من الشخصيات الافريقية والاوروبية ... » .

لقد أنفق الكاتب الافريقي الجديد أربعة أعوام في كتابة قصته « واجب العنف » ، أربعة أعوام لم تثبط عزيمته . وها هو ينتهي بعدها من انجاز « رسالة مفتوحة الى فرنسا الزنجية ، موجهة الى الجنرال ديغول « جدي العزيز ومحرري » ! لا يزال يبحث لها عن ناشر . وهي تعتبر بطاقة مفتوحة لكل ضحايا مناهضة العنصرية . ويمكن لنا أن نأخذ فكرة عن النبرة العامة لفكر أولوجويم في مجموعه حين نقرأ له الفقرة التالية : « في اللحظة التي تلين فيها قلوبنا شفقة على بيافرا ، ننسى ان هناك فييتنام أيضا ، تلك التي ليست منذ أكثر من عشرين عاما شيئا آخر سوى بيافرا الصفراء .. » .

ومع ذلك فلسوف نلاحظ ان المشكلة لا تزال قائمة ، تلك المشكلة المستحيلة الحل التي يطرحها الادب الافريقي ذو التعبير الفرنسي : هل ينبغي أن يدخل ذلك النتاج الجديد ، رغم مضمونه ، في اطار التراث الادبي الفرنسي ، أم سيبقى رغم لغته ، ضمن الثروات الفنية التي تعيش في القارة الكبيرة . طرحت المشكلة منذ سنوات ولم تحل ، ولا يبدو انها سوف تحسم الا عن الطريق التقليدي وهو طريق الترجمة ، حتى يتاح لتلك الاعمال أن ترتد الى منبعها وتتفاعل في بيئتها وتأخذ قيمتها الحقة . لا زال قراء ذلك الادب هم الجمهور الاوروبي ، فكيف تتم دورة العمل الفني ويتذوقه جمهوره الاصلي الذي هو أهم من أي جمهور آخر بالنسبة له ؟

---

(١) قبل حوادث مالي الاخيرة .

الاتحاد السوفياتي

شولوخوف .. والفن الواقعي الاشتراكي

* * *

— ١ —

ما من شك ان ميخائيل شولوخوف هو شهـــادة للفن الواقعي الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي ، وفي الدول الآخذة بالنظام الاشتراكي وفقا للاشتراكية العلمية .

ولم يكن شولوخوف بحاجـــة الى جائزة نوبل كي يشتهر فنانا واقعيا اشتراكيا ، فان عمله الدؤوب ، المتواصل ، المثابر ، وانجازاتـه الفنية وفتوحه في الرواية ، قد وضعته ، منذ زمن ليس بالقصير ، في مصاف الفنانين العظماء .

ومع ذلك فان منحه جائزة نوبل جاء تقـديرا من الجانب الآخر ، وعلى صعيد رسمي ، لانجـازات شولوخوف غير العادية والخارقة ، ولكن هذا التقدير جـــاء متأخرا ، حتى ان أحد أعضاء الاكاديميـــة السويدية ، التي قررت منحه جائزة نوبل ، اعترف بقوله : ان التقدير ، في الحقيقة ، جـــاء متأخرا بعض الشيء ، ولكن ليس أكثر مما ينبغي لحسن الحظ ليضاف الى قائمة الذين فازوا بجائزة نوبل اسم مـــن أبرز كتاب عصرنا .

ومع كل هذا ، وبرغمه ، فان شولوخوف قد وجد تقديره الذي يستحقه على صعيد رسمي .

وفي منح الجائزة كانت الحيثيات تقول ان ذلك تم تقديرا « للقوة والوحدة الفنيتين اللتين أعطى بهمـا فـي ملحمته « الدون » تعبيـرا خلاقا لمرحلة من تاريخ الشعب الروسي » .

فما قصة الدون هذه ؟

ولماذا اعتبر تقدير شولوخوف ، من ناحية أخرى ، تقديرا للفـن الواقعي الاشتراكي ولاسلوب الاشتراكية ومدرستها ؟

وبم يمتاز شولوخوف ؟

— ٢ —

لا نظن ان هذا المقال الموجز يستطيع الاجابة ، بشكل واف ، على كل هذه الاسئلة المهمة ، المشروعة ، والتي لا مناص منها في تنـــاول شخصية شولوخوف الفنية . ولكن من شأن هذا المقال ومن حقـه أن يشير الى أسس الاجوبة على هذا السؤال .

اذا اعتبر تقدير شولوخوف تقديرا للواقعية الاشتراكية فليس هذا بأمر مبالغ فيه . بالعكس انه الحقيقة بالذات (لقد كان رئيس اتحاد الكتاب السوفيات على حق تماما ، حين صرح ، بهذه المناسبة ، يقول: « ان تقدير موهبة شولوخوف يؤكد الشرف العظيم الذي حازه الكتاب السوفيات والادب الاشتراكي » .

والتصريحات التي تطلق بهذا الصدد غير قليلة لا في الاتحـــاد السوفياتي فحسب ، بل على الصعيد العالمي .

وحتى شولوخوف نفسه قد أكد هذا في تصريحاته وأجوبته بهذا الخصوص . واذن فنحن ملزمون بتبيان أصول فن الواقعية الاشتراكية ، ومميزاتها على وجه العموم ، لنرى ، بالتالي ، كيف انعكست في أدب شولوخوف ، وكيف كان شولوخوف ، بالـــذات ، رسولا لها وممثلا بقصة « الدون الهادىء » التي نال بها الجائزة ، أو بسواها ...

* * *

يعتمد أسلوب الواقعية الاشتراكية ، في الاساس ، على مبـــدأ تصوير الواقع في تطوره الثوري . وعدا المألوف عن ان السمة المميزة للواقعية الاشتراكية هي « النظرة الاشتراكية للكاتب نفسه وموقفـــه السياسي والايديولوجي ، معبـــرا عنه في تصوير صادق للواقع » ، كما تقول تامارا موتيلفا ، عالمة الجمال والناقدة الادبية السوفيـاتية ، فان النظرة الكلية الشاملة ، والنفاذ الى الجوهر في الانسان والحياة والمجتمع بوحدة عضوية حية للشكل والمضمون مع التفاؤل التاريخي ، الذي يأتي هنا خلاصة تفاعل للبناء النفسي والفني والفكري والحدثي للاثر الادبي ، هما سمتان أخريان تعنونان أسلوب الواقعية الاشتراكية في البلدان الاشتراكية وغير الاشتراكية .

تقول تامارا موتيلفا : ان الواقعية الاشتراكية تميل الـــى تصوير الانسان في تطوره ، والى دراسة اضطراباته الروحية المتشعبة وشديدة التعقيد غالبا ، في علاقتها بالنمو الايديولوجي للناس واسهامهم فـي الحركات الاجتماعية . فان شعراء واقعيين اشتراكيين كيوهان بيجز ، وناظم حكمت ، وبابلو نيرودا ، وروائيـــين كآراغون ، وبويمانوفا ، وسيكرز ، وكتابا مسرحيين كبرخت وكروتشكوفسكي قد أغنوا فـــن الادب ببعض الشواهد الفذة على تصوير الشخصية البشرية باساليب عصرية على درجة كبيرة من الكمال .

ان الواقعية الاشتراكية ليست ضد الجديد والتجديد والاساليب الجديدة ، انما هي تتطلبها ، لا على نحو ميكانيكي آلي ، وانما بتفاعل خلاق للمضمون والشكل ، وتطلب مضموني للشكل الذي يلائمه .

ان تحطيم الاشكال الادبية التقليدية ليست موضة او نزوة فـي رأس هذا الفنان أو ذاك ، انما هو عمل مرتبط بصميم الاسلوب الفني ، وبطبيعة متطلبات العمل الفني المعين ، في اللحظـــة المعينة والظرف المعين . فالواقعية الاشتراكية ليست جامدة ، بالعكس ، انها تستثمر ، على نحو خلاق موار بالحياة ، كل مكتشفات التكنيك الادبي والفنـي ، شريطة صلاحيتها لاحتضان المضمون الجديد ، وشريطة تفاعلها مـــع المضمون وتصادي ذلك وتعاطيـــه مع روح العصر الذي يعيش فيـه الفنان . وفي ذلك تقـــول مونيلفا : « في سبيل أن ترقى الواقعية الاشتراكية الى مستوى المهام الايديولوجية التي تواصلها ، يتعيـــن عليها أن تواصل النفاذ ، بشجاعة ، الى أعماق الحياة العقلية والروحية لكل الافراد والامم . ولا شك ان الكتاب التقدميين في يومنا هـــذا يقفون السير في مسالك هذه الاكتشافات ، حتى لو استدعى ذلـــك تحطيم الاشكال الادبية التقليدية » .

ان وعي الكاتب يساعـــده كثيرا ، شريطة ان يسبق ذلك توفر موهبة فنية ناضجة ، في تصوير الواقـــع في تطوره الثوري . ولا يشترط أن يكون الفنان الاشتراكي داعية ، فالعمل الفني في جوهره وطبيعة عمله ونتائجه ، يقود الى تدعيم قوى الخير والتقدم .

على ان ميكانيكية وطبيعة الدعاية تختلفان بشكل أساسي عـــن

ميكانيكية وطبيعة العمل الفني . فالدعاية عمل ايديولوجي ، فكري ، موجه لا يحفل بالصور الفنية وبالاسلوب الفني ، اما العمل الفني فهو عمل فني قبل كل شيء ، لكنه ملتزم من ناحية اخرى بالواقع وروح العصر ، وهو يحمل جوهرا ايديولوجيا . فالافتتان بالعمل الفني يكون على أساس من الجوهر الايديولوجي ، وترابط الايديولوجية بالفنية ، في الواقعية الاشتراكية ، هو ترابط حي خلاق ، ومرن . ان الفنان يعتمد على الاقناع وهو يخاطب الانسان ، يخاطب ضميره . وهو في ذلك يعتمد على كل الوسائل اللازمة لاقناع القارىء بما يريد أن يقول ، وبما يريد أن يصور . وهذا الاقناع للقارىء لا يأتي على نحو ميكانيكي ، أو تعسفي ، أو بمرسوم أو بفرمان .. انه يأتي من داخل العمل الفني نفسه ، وبوسائل فنية ، وبتوجه وتناول فني للموضوع والحدث ، دون أن يضيع جوهره الايديولوجي ، وهذا هو ما يفعله شولوخوف في رواياته . فالرواية عند شولوخوف هي ملحمة الفن الواقعي الاشتراكي. وهذه الملحمة عدا تميزها بالاناة والصبر الطويل ، والمثابرة في عملية خلقها وتصويرها وتقديمها الى القارىء ، فهي تفعل فعلها الحالي والايديولوجي ، ناقلة القارىء الى ذرى من العمل الفني الجبار ، وباثة الثقة في الانسان ، ومدافعة عن الجميل والتقدمي في الحياة وعن كل ما هو خير فيها ، ومكافحة كافة قوى الشر والقبح والعهر والدناءة والانتهازية واللاانسانية .

ان هذا العنصر الملحمي في رواية شولوخوف يميزه عن اكثر فناني الواقعية الاشتراكية . وهذه الميزة ليست هبة بمقدار ما هي انجاز خاص . ان الجوقية وديالكتيك الروح ، والنهل الفني الخلاق من المعين الفولكلوري الثري للشعب الروسي والاوكراني وللبيئة القوزاقية ، كل هذا قد ساعد شولوخوف ، الى حد بعيد ، في توفير بعض متطلبات العنصر الملحمي في الرواية . ومن ناحية اخرى ، استطاع شولوخوف ، بهذا ، أن يحتفظ بالشخصية المحلية ، دون أن يفقد الجوهر الانساني الشامل .

ان هذه الوحدة بين الخاص والعام ، والتي تتم على نحو آسر وموار بانفاس الحياة الحارة اللاهبة، هي بعض جوهر أسلوب شولوخوف في الفن الروائي .

وثمة عرق فني ومميزات أسلوبية تربط بين شولوخوف وبين سلفه الواقعي الانساني الكبير ليو تولستوي . فدبالكتيك الروح ، والملحمية ، عند تولستوي هما بعض ما يميز الجوهر الاسلوبي للفن الروائي عندهما . ومع ذلك فروح العصر عند كل منهما تنعكس بشكل كامل .

ومرة أخرى نعود الى القول لا على نحو آلي ، وانما على نحو من التفاعل الحي ، وعلى صعيد من الوحدة العضوية لشكل ومضمون يلتحمان بالعصر ايديولوجيا ، وفنيا ، وتكنيكيا .

* * *

حسنا ، وماذا عن البناء النفسي ، الذي يهيم به البعض ، متهمين ، في ذات الوقت ، الواقعية الاشتراكية بخلوها منه ؟

هنا نستطيع القول ان مثال « شولوخوف » في الرواية ، هو مثال جاد ، ومثال حافل بالدروس والعطايا . فالتنوع الفني ، وتعدد الزوايا التي ينظر منها « شولوخوف » الى الحدث لا بنفيان اعتماده على التحليل النفسي . انه يرافق ابطاله ، ويمنحهم فرص النمو النفسي والتطور بشكل مقنع ، يخلو تماما من التعسف ، والآمرية ، ومن تدخل الفنان باصابعه المباشرة .

ويكاد القارىء في بعض الاحيان يحس عفوية كاملة ، بسبب الانسيابية والاستطراد ، وتداعي الافكار والخواطر ، ولكن هذه العفوية لا تنمو صدفة ، انها بعض ما يعين « شولوخوف » على التوغل في عالم أبطاله الروحي .

ان هذه العفوية ليست متصنعة ، بالعكس انها حافلة بعنصر شعري ، وبغنائية آسرة ، ومع ذلك فهي تعين في التخطيط الروائي ، وفي النمو الحدثي ، وهي بالتالي تقدم المجال للنمو الفكري ، الذي يجعل النمو النفسي وجها من وجوهه .

وتقول الكاتبة السوفياتية كيسيليفا في مقال لها عن أسلوب شولوخوف : انه في انسان واحد يتفتح عالم كامل على مصراعيه .. ان هذه الميزة ليست نادرة عند شولوخوف ، وهي عموما ليست سهلة بالقدر الذي يتصور ، وليست شائعة عند اكثر الكتاب الروائيين . فهنا ليس التفصيل ، وانما التكثيف والتركيز ، مع حد لا يضارع من الانتباه والتعاطف مع الحدث والصورة والبطل ، هو الذي يلعب دوره .

- ٣ -

وفي قصة « الدون الهادىء » (وهي الرواية الملحمية التي تمتد في أربعة أجزاء ضخمة) ، نجد أسلوب شولوخوف الفردي المميز ، ومميزات الواقعية الاشتراكية ، في وقت واحد معا .

انهما لم يتجاورا صدفة ، وانما كانا بفعل واقعية شولوخوف الاشتراكية ، وقبل ذلك بفعل فنية شولوخوف الواقعية المميزة .

ان الواقعية الاشتراكية تؤكد كل الوقت تنوع الاساليب ، وتفرد الشخصية الفنية ، وتنفي الرتابة ، والروتينية ، والنمطية .

انها تنهل من الحياة عضويتها وحيويتها ، وتنهل من روح العصر غناه وتعقده ، وكلية جوانبه ، وتقدميته ، وثوريته ، وتنهل من الاشتراكية انسانيتها واشتراكيتها ، وتنهل من الواقعية أسلوبها الواقعي الخلاق الذي يفيد من سائر انجازات المدارس الاخرى ويطورها .

ان الحديث عن « الدون الهادىء » باعتبارها ممثلة وعاكسة لكل مميزات شولوخوف الاسلوبية ، أو لاكثرها الجوهري ، هو حديث طويل يستحق كتابا . وحسبنا ، هنا ، أن نشير الى أصول هذه الملحمة .

يمضي الجزء الاول من « الدون الهادىء » مقدما لوحة غنية شاملة للحياة العامة . النماذج هنا من القوزاق ، قبل الثورة الاشتراكية وبعدها . وشولوخوف لا يعرض على نحو « موضوعي بارد ـ مما يهيم به علماء الجمال البرجوازيون ـ وانما يعرض على نحو ذاتي ـ موضوعي انساني . وبمعنى آخر : انه يخلق النماذج والصور ، ولا يعكسها عكسا آليا ، وانما يضيف شيئا من روحه ، وهو مع البطل الايجابي (وليس كل أبطال روايات شولوخوف ايجابيين) ، صديق ورفيق وناقل ومصور وفنان .

ان حياة القوزاق الفنية تتمثل ، على نحو هادف ، دون أن تضيع التفاصيل في زحمة العمل الدعائي ، كما يحدث هذا ، أحيانا ، عند البعض . والوضع الطبقي في هذه المرحلة الهامة من حياة وتاريخ الدون ينعكس ، بشكل فني ، مفيدا من الدقة ، والمران الطويل في التصوير ، وقبل ذلك ، واليه ، من التحليل النفسي ، والنمو النفسي لابطال أمثال الميكانيكي ايفان كوتلياروف ، والصحفي ميخائيل كوشيفوي ، وميليخوف الذي يتعرض لكثير من المعاناة والعذاب الروحي بسبب صراع نفسي متطاول ومشروع .

ان المؤلف يبرز التناقضات في هذه النماذج ، وفي طبقة الفلاحين المتوسطة والغنية . ومشاهد الحرب الاهلية تصور على نحو موضوعي ، فالضحايا هم الضحايا ، والحرب هي الحرب .

ويمتد الوصف في الجزأين الثاني والثالث في لوحات كاملة تتراوح بين الواقعية والرومانسية ، على نحو ملحمي ، يفيد من روح القرن العشرين ، اكثر مما يرنو الى القرن التاسع عشر .. ويعرض للنفس البشرية بكل لواعجها من حقد وحب وأمل ويأس ، وضعف وشجاعة ، وطموح وانهيار ، وتشبث بالجديد .

كل هذا يرسمه المؤلف بأصابع فنية تعتمد البناء النفسي للانسان

البسيط ولكافة أبطال الرواية وشخصياتها .

ان ثورة أوكتوبر التي ترتمي أمام الدون ، تقنع ، بشكل تدريجي أحيانا ، وبشكل طفرة أحيانا أخرى ، وبمختلف الاشكال عموما ، وبكل الوسائل الواقعيـــة الحياتية .. تقنع سكان الدون ، وجماهيـــره البسطاء ، بالانضمـــام الى صفوفها . لكن هذا لا يحدث على شكـل ميكانيكي ، أو بصورة حتميـــة عمياء . ان بعض الابطال يؤمنـون ، وينهارون ، كما ان بعض الذين لم يؤمنوا أساسا يتدرجون الى ايمـان حقيقي . والمؤلف لا ينفي الضعف البشري ، ولا يحتقره ، بل يحنـو عليه . وهو في نظرته الشاملة والانسانية يعتمد الجديد والخير فـي النفس الانسانية ، لكنه لا ينبذ ظهريا السلب ، والسالب ، والضعف الانساني . وبذلك يتوفر عنصر الاقناع ، الذي يساعد في توفيـره ، من ناحية أخرى ، عدم التدخل المباشر من قبل الفنـان شولوخوف .

ان القصة تسير كأمواج النهر ، لا بشكل قدري يفتقد الهدف ، وانما بشكل يتصاعد من الداخل ، وينمو في الذهن البشري ، فـــي الخلايا الحية ، وعلى نحو هادف ، لكن بشكـــل مقنع . ان العنصر الطبقي متوفر في قصة « الدون الهادىء » تمامـا ، قدر توفر العنصر الانساني ، وقدر توفر العنصر الايديولوجي . هذه العناصر لا تنفصـل بعضا عن بعض ، وانما تتداخل وتتفاعل (بل ان العنصر الايديولوجـي يحتضن العنصر الطبقي ويقدمه سمة من سماته) وتتطور ، معتمـدة سائر المظاهر الحياتية ، ومتحققة من خلالها .

ويجد الحب مجاله الخصب في الرواية ، فأكسينا استاخوفـا هي أنثى قادرة على أن تعطي ما أعطته مدام بوفاري . وحين تمـوت تلتقي مع حبيبها في مونولوج داخلي يقول فيه : « كل شيء انتهى » ، « لقد أصبت بأفدح ما يمكن أن يصيبني » . ويلتقي بأخرى هي ناتاليا لقاء مزهرا في بستان مزهر ، فنسمعه يقول :

« كل هذا يا ناتاشا من أعباء الحياة . اننا نمشي دائما على حافة الموت . وأحيانا نستطيع أن نتجاوز الثلم » .

* * *

ورواية « الاراضي المستصلحة » هي نمـــوذج آخر للحميـــة شولوخوف ، وواقعيته الاشتراكية في انجازاتها الخلاقة . واذا كانت رواية « الدون الهادىء » تصـــويرا لتدعيم السلطة السوفياتيـــة والاشتراكيه ، في مشاهد الصراع مع قوى الماضي الآفل ، فان روايـة « الارض المستصلحة » تمثل البناء الاشتراكي . وقد أنفق شولوخوف نحو أربعة عشر عاما بين الجزء الرابع والجزء الاول من « الـــدون الهادىء » ، أما بين الجزء الاول والجزء الثاني من «الارض المستصلحة» فتمتد ثلاثون سنة !

ولعل أروع ما قرأت في تثمين رواية « الدون الهادىء » هـــو ما قاله ألكسي تولستوي (في مقالته « ربع قرن من الادب السوفياتي » ـ مجلة « العالم الجديد » ـ « نوفي مير » ، العدد ١١ ـ ١٢ ، عام ١٩٤٢) : « ان شولوخوف قد جاء الى الادب بموضوع ولادة المجتمع الجديد في مخاض فواجع وتراجيديا النضال الاجتماعي في قصـــة « الدون الهادىء » ، فكشف شولوخوف عن عنصر ملحمي مشبـــع برائحة الارض ، وعن تصوير خلاق لحياة قوزاق الدون . لكـــن هذا لا يحدد موضوع الرواية الكامل ، فالدون الهادىء من حيث لغتـــه ، واخلاصه ، وانسانيته ، وشفافيته ، هو اثر فني روسي عام ، واثـر وطني واثر شعبي » .

ان هذه الشهادة الادبية لشولوخوف هي شهادة لعبقرية فنـــه الواقعي الاشتراكي ، وهي تغني عن كثير من البيان .

موسكو

جليل كمال الدين

التحدي الصهيوني

(اضواء على اسرائيل)

بقلم جاك دومال وماري لوروا

ترجمة نزيه الحكيم

« ان حكايـــة الذئب والحمل هي ، فـي خطوطها العامة ، حكـــاية النازية . وهي كذلك حكـــاية الصهيونية ، هذا الخطر الجديد الذي يهدد اليـــوم سلام العالم ، ويهـــدد ما لا يزال للانسانية من قيم سامية .. ومطمحنا في هـــذا الكتاب هو أن نلقي مزيدا من النور على قضية جوهرية ، يرتبط بها مصيرنا في ما يأتي من الشهور والاعوام ...

« ان وجهـــــة النظر العربية هي مئة في المئة وجهـــة العدالـــة والحق ، وهـــي أيضا بالتالي وجهـــة الواجب . وكل العرب يعرفون ذلك ، وكثيرون مـــن الاسرائيليين يعرفونه أيضا ، ولكنهم مضطرون للصمت ، وكثيرون من « اليهود » في العالم يشاركونهم هـــذا الرأي ...

« وجمال عبد الناصر كان على حق حين قال : « ان الصهيونية ليست تحديا لشعب فلسطين وللامة العربية ، بل هي تحد للانسانية » .

هذا ما يقوله مؤلفا الكتاب جاك دومال وماري لوروا اللذان يفضحـــان في فصول شيقة صادقـــة اساليب اسرائيل وخـــداعها واجرامها ... والجدير بالذكر ان المؤلفـــين هما صاحبا كتاب « جمـــال عبد الناصر ، من حصـــار الفالوجة الى الاستقـــالة المستحيلة » .

وكتابهما هذا الجديد « التحدي الصهيوني » يصدر في اللغة العربية قبل صدوره في اللغة الفرنسيـــة الاصلية .. والواقـــع ان نشره باللغتين الفرنسية والانكليزية يـــلاقي صعوبات كبيرة بسبب تأثير أجهـــزة الاعلام الصهيونية على مؤسســـات النشر في العالم الغربي كله ... من هنا أهمية هذا الكتاب وخطورته ...

صدر حديثا **الثمن ٣٠٠ ق.ل.**